مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كور ٤: ٦–١٥)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ الذي أمَرَ أن يُشرِقَ من ظُلمةٍ نورٌ هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيَةٍ خَزَفيَّة ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا* مُتضايقينَ في كلِّ شيءٍ ولكن غيرَ منحصرين. ومُتحيِّرين ولكن غيرَ آئسين* ومُضطَهدين ولكن غير مخذولين. ومطروحين ولكن غير هالكين* حاملِين في الجسد كلَ حينٍ إماتَةَ الربِّ يسوع لتظهرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادنا* لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائتة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذْ فينا روحُ الإيمانِ بعينِه على حسبِ ما كُتبَ إنّي آمنتُ ولذلك تكلَّمتُ فنحنُ أيضاً نؤمِن ولذلك نتكلَّم*

النشأة الأولى للمسيحية في لبنان

لقد بدأت كرازة الإنجيل على ساحل فينيقية مع الرب يسوع المسيح. العهد الجديد يذكر لنا أن «الذين حول صور وصيدا، جمع كثير، إذ سمعوا كم صنع (الرب يسوع)، أتوا إليه» (مر ٣: ٨)، وأنّه قصد هو نفسه «نواحي صور وصيدا» (متى ١٥: ٢١، مر ٧: ٤٧) حيث شفى ابنة المرأة الكنعانية «السورية الفينيقية». ويشهد الرحالة Suchem Ludolph Von (القرن الرابع عشر) على بقاء الكنيسة التي بناها المسيحيون في موضع الشفاء العجائبي هذا حتى أيامه.

كذلك يوضح سفر أعمال الرسل أنّه بعد تشتّت المؤمنين على أثر استشهاد أوّل الشمامسة استيفانوس، أخذ بعض هؤلاء بالكرازة بالإنجيل في فينيقية (أع ١١: ١٩). فالموكّد أنّه في مرحلة مبكّرة جداً، زمن الرسل تلاميذ المسيح، قد وُجِدت جماعات مسيحية في لبنان.

كانت مدينة صور إحدى أقدم الأبرشيات الكبرى في الشرق المسيحي. ففي طريق عودته من اليونان عام ٥٦ م.، وجد الرسول بولس في هذه المدينة جماعة كنسية قضى في كنفها سبعة أيام (أع ٢١: ٤–٦). أما صيدا فكانت فيها جماعة مسيحية مرّ بها الرسول بولس المُقيَّد في طريقه إلى روما فـ«أُذِنَ له» أن يقضيَ وقتاً في زيارتها (أع ٢٧:٣).

وتُثبت المصادر التاريخيّة أنّ مدينة صور أضحت قُبَيل نهاية القرن الثاني كرسيًّا أسقفيًّا ضم أربع عشرة أبرشية. وقد دُفِن في كاتدرائيتها العام ٢٥٤ العلامة أوريجنس أعظم الكتّاب المسيحيين في تلك الحقبة. كما أنّه أُعيد تشييد هذه الكنيسة التي هُدِمت على أثر اضطهاد الإمبراطور ديوكليتيانوس، حوالي العام ٣١٤ زمن الأسقف بافلينس (Pavlinus) على عهد الملك قسطنطين الكبير، فكانت الكاتدرائية الأكثر جلالاً وضخامة في فينيقية، والتي يشهد كبار المؤرخين أمثال الأسقف إفسيفيوس القيصري، أبي التاريخ الكنسي، لحفل تكريسها كونه كان خطيب الاحتفال فيها.

يشهد للمكانة الكبرى لأبرشيات فينيقية أيضاً المجمع الكنسي الكبير المُنعقد عام ٣٣٥ في صور والذي

العدد ٢٠١٣/٣

الأحد ٢٠ كانون الثاني

تذكار أبينا البار المتوشح بالله أفثيميوس

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الحادي عشر

عالِمين أنَّ الذي أقامَ الربَّ يسوعَ سيُقيمنا نحن أيضاً بيسوعَ فننتصبُ معكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم لكي تتكاثر النعمةُ بشكرِ الأكثرين فتزدادَ لمجد الله.

الإنجيل

(لوقا ١٧: ١٢–١٩)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ داخلٌ إلى قريةٍ استقبلهُ عَشْرَةُ رجالٍ بُرص ووقفوا من بعيدٍ* ورفعوا أصواتَهم قائلين يا يسوعُ المعلّمُ ارحمنا. فلمَّا رآهم قال لهم امْضوا وأروا الكهنةَ أنفسكم. وفيما هم منطلِقون طَهُروا* وإنَّ واحداً منهم لمَّا رأى أنَّه قد برئَ رجَعَ يُمجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم* وخرَّ على وجهه عند قَدَمَيْهِ شاكراً له وكان سامريًّا* فأجابَ يسوعُ وقالَ ألَيسَ العَشْرَةُ قد طهروا فأين التسعة* ألم يوجَدْ مَن يرجع ليمجّد الله إلاَ هذا الأجنبيَّ* وقال له قُمْ وامضِ. إيمانُك قد خلَّصك.

تأمل

«لتظهر حياة المسيح أيضاً في أجسادنا المائتة».

لكي تدرك أنّ العطايا التي وُهبت لنا في ضمّ ٣٤٨ أسقفاً من أرجاء متعدّدة في المسكونة.

وقد لعب أساقفة صور دوراً بارزاً في تنشيط البشارة وتوطيد الكنائس ليس في الداخل الفينيقي وحسب، بل قد بلغ اتّساع عمل البشارة أنّ خليفة بافلينس، الأسقف فرومنتيوس (Frumentius) الصوري، كان صاحب فضل كبير في تعميد الشعب الأثيوبي (حوالي ٣٣٠ م.) بالتعاون مع البطريرك الإسكندري القديس أثناسيوس الكبير.

وتتعدّد الإشارات في المصادر التاريخية إلى أبرشية صيدا في القرن الرابع، التي شارك أسقفها في المجمع المسكوني الأول المُنعقد في نيقية العام ٣٢٥.

أمّا بيروت مركز الثقافة والتعليم والمدرسة الحقوقية الرومانية العريقة، فتكثر الإشارات إلى أسقفيّتها. كانت بيروت محطّة هامّة للرسل في طريقهم من أورشليم إلى أنطاكية، ما جعل كنيستها، التي أسّسها القديس كوارتُس أحد الرسل السبعين، نابضةً بالحياة. يؤكّد على ذلك العدد غير القليل من مُدراء مدرستها الحقوقية وأساتذتها وطلابها الوثنيين الذين، في النصف الثاني من القرن الثالث، اعتنقوا المسيحية على أثر إقامتهم في هذه المدينة وما وجدوه فيها من ثقل ديني كنسي. وقد استشهد غير قليل من هؤلاء الحقوقيين خلال اضطهاد ديوكليتيانوس ومكسيميانوس ابتداءً من العام ٣٠٣، يبرز بين هؤلاء بامفيلس (Pamphilos) أسقف قيصرية، البيروتي المنشأ، العالِم في الكتاب المقدس ومعلّم المؤرِّخ إفسيفيوس القيصري، وأبفيانس (Apphianus) صديق إفسافيوس القيصري المتحدِر من عائلة وثنيّة نبيلة والذي اعتنق المسيحية في بيروت قبل أن يستشهد من أجل المسيح.

تروي المصادر التاريخية أخباراً تفصيلية عن الإجراءات المتّخذة من قِبَل جيوش ديوكليتيانوس ما بين ٣٠٣ و٣١٣م. من أجل قمع الكنائس في ساحل فينيقية (الممتدّ من فلسطين إلى لبنان وسوريا)، ما يشير إلى حجم الأبرشيات والامتداد الواسع للمسيحية في المنطقة.

مع انتهاء زمن الاضطهاد واعتلاء القديس قسطنطين الكبير المعادل الرسل عرش المُلك في العاصمة الجديدة الشرقية، تمّ العثور على صليب الرب يسوع، واضحت أورشليم مدينة الحج الأولى في العالم. وكان الساحل السوري اللبناني الفلسطيني الرابط الحيوي بينها وبين عاصمة الإمبراطورية الجديدة. وكانت النتيجة المباشرة لهذا أنْ بلغت أبرشيات سوريا ولبنان الساحلية والداخلية عصرها الذهبي، فيما تراجعت الوثنية وشارفت على الاضمحلال، إذ كانت تُهدَم معابدها ويَعمَد أهلها إلى إحراق الأصنام واعتناق الإيمان الخلاصي. نذكر على سبيل المثال أنّ الإمبراطور ثيوذوسيوس الكبير (حكم من ٣٧٩ إلى ٣٩٥) أقام كاتدرائية كبرى في معبد جوبيتر في بعلبك التي باتت كرسيًّا لأسقف خدم معه عدد كبير من الكهنة والشمامسة، وهو الذي بنى دير المئتي راهب، الذي يحمل الوادي اسمه اليوناني إلى اليوم: وادي قنوبين (Koinovion)، فيما هدم قسطنطين الثاني معبد أفقا أحد أبرز معالم الوثنية في بلادنا.

مدينة Berytus بيروت صارت بجملتها مسيحية أواسط القرن الرابع. فبعد زلزال ٣٤٩م. الذي

المعمودية هي جديدة وخارقة، ألا انظر كيف أننا نحن الذين كنا في الأمس أحقر من الوحل، أمسينا فجأة ألمع من الذهب واستبدلنا الأرض بالسماء. لذا، فكل العطايا التي وُهبت لنا إنّما هي روحية: فثوبنا روحيّ وغذاؤنا روحيّ وشرابنا روحيّ. فمن المعقول إذاً أن تكون أعمالنا وأفعالنا، من الآن فصاعداً، بأجمعها روحية، لأنّ هذه الأمور، على حدّ قول بولس، هي ثمر الروح: «إنّ ثمر الروح هو المحبّة والفرح والسلام واللطف والأمانة والصبر والوداعة وطول الأناة، وأمثال هذه ليس ضدّها ناموس» (غلا ٥: ٢٢-٢٣). إنّه محقّ، لأنّ الذين يمارسون الفضيلة هم فوق الناموس ولا يخضعون له: «إنّ الناموس لم يُسن للبار» (١ تيمو ١: ٩).

وفي إثر ذلك، يضيف الرسول، وهو يشرح ثمر الروح «إنّ الذين هم للمسيح يسوع، صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غلا ٥: ٢٤). وكأنّي به يقول: لقد شلّوه وجعلوه عاجزاً عن صنع الشرّ، بل وحاربوه بشدّة، فسَمَوا على الأهواء والشهوات. ذلك ما يودّ بولس أن يشير إليه بقوله: «لقد صلبوه». فكما أنّ الذي عُلّق على الصليب وسُمّر بالمسامير لا تهاجمه ضربها، والذي اعتُبر «علامة غضب إلهي»، اعتنقت القلّة الوثنية الباقية فيها الإيمان بالمسيح.

ما لا شكّ فيه أنّ عهد الإمبراطور ثيوذوسيوس كان انتصاراً نهائيًّا للمسيحية على الوثنية في الشرق المسيحي، وأن لبنان وسوريا وفلسطين اعتُبرت أرضاً مسيحية مع بداية القرن الخامس. وقد قدّمت الكنيسة في هذه البلاد مئات من القديسين الشهداء والأبرار والمعترفين والمعلّمين.

المحبة عند القديس مكسيموس

تعيّد كنيستنا المقدّسة في الحادي والعشرين من كانون الثاني وفي الثالث عشر من آب للقديس مكسيموس المعترف الذي اشتهر بغزارة قلمه المدافع عن الكنيسة وعقائدها وتعاليمها، ومن كتاباته مئويّات أربع تكلّم فيها على المحبّة.

لقد أعطانا الربّ وصيّة المحبّة التي سَمَت على جميع الوصايا: «فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى، والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس كله والأنبياء» (متى ٢٢: ٣٧-٤٠). إذا طبّقنا هذه الوصيّة لن نعود نفكّر بالقتل أو الزنى أو اشتهاء ما لغيرنا أو السرقة... لقد فهم القديس مكسيموس هذه الوصيّة التي لا شيء أعظم منها، أي أن نحبّ الله والقريب، فقال إن «مَن يطبق هذه الوصيّة يبرهن عن محبّته لله»، كما قال أيضاً إنّ «محبّة الواحد للآخر توطّد محبّته لله»، لكنّنا لا نقوم بذلك «لأنّ ضعفنا وتفكيرنا المادّي يجعلاننا نفضل الأمور الأرضيّة على تطبيق وصيّة المحبّة... ومَن لا يفصل نفسه عن عشق الماديات لا يستطيع أن يحبّ لا الله ولا القريب بصدق». لقد حذّر القديس مكسيموس من «الازدراء بوصيّة المحبّة» لأنّ ذلك «ينفي عنّا صفة أبناء الله ويجعلنا من أبناء جهنّم». إذاً، أعطانا الله وصيّة المحبّة ليمنحنا فرصةً جديدةً للعودة إليه كأبناء له، أعطانا هذه الوصيّة ليحرّرنا من أيّ تعلّق أرضيّ خاطئ وبذلك نصبح قادرين على أن نحبّ الله وقريبنا بحريّة تامّة.

من الممكن، بحسب مكسيموس، أن «نسقط بعيداً من المحبة الإلهيّة» متى سمحنا «بأن يأوي قريبُنا إلى فراشه وهو غاضب»، أو متى «استمعنا إلى التجديف»، أو عندما ننفعل في وجه التجارب: «حتى ولو أصرّ أخوك على تجربتك من خلال النميمة، عليك ألاّ تبتعد عن المحبّة». في الواقع علينا «أن نقوم بكلّ ما في وسعنا حتى لا نبتعد عن المحبّة التي هي ربّنا نفسه».

إن كنّا بالحقيقة نحبّ الله فسنفضّله على أي أمر آخر من الأمور المخلوقة، أمّا إذا تعلّقنا بالمخلوقات فإنّنا لا نكون نحبّ الله كما يجب. هذا الأمر غاية في الصعوبة، لكنّ حقيقة محبّتنا سوف تظهر في خياراتنا الحقيقيّة: «عندما ترى أنّ ذهنك يتعمّق بلذّة في الأمور الماديّة وأنّك لا تستطيع أن تتوقّف عن التفكير بها، عندئذٍ إعلم أنّك تحبّ هذه الأمور أكثر من الله». إنّ مَن يحبّ الله حقًّا بحسب القديس مكسيموس «لا يكون حزيناً ولا يُحزِنُ أحداً لأيّ سبب عابر، يحيا

رغائب الجسد بل تتعطّل كلّ الأهواء وكلّ رغبة شريرة، لأنّ العذاب قد حطّمه واخترقه من طرف إلى آخر، حتى إن الألم لم يترك فيه موضعاً سالماً، كذلك عرف أولئك الذين وقفوا ذواتهم للمسيح أن يتّحدوا به اتحاداً حميماً ويهزأوا من مستلزمات الجسد، حتى إنهم صلبوا أنفسهم مع أهوائهم وشهواتهم.

أمّا نحن الذين لبسوا المسيح وانتموا إليه واستحقوا أنا ينالوا غذاءه وشرابه الروحيّين، فلنرتّب حياتنا كأناس لا يرتبطون مع أمور هذه الحياة بشيء مشترك. فها قد صرنا بالفعل أعضاءً في مدينة أخرى، في أورشليم السماوية. لذا، أتوسل إليكم أن نُظهر من خلال ممارستنا للفضيلة أعمالاً تليق بهذه المدينة الجديدة، فنحظى بنعمة سماوية وافرة، بواسطة الدعوة إلى تمجيد السيّد الذي يجده الآخرون فينا. فإنّ سيدنا، عندما يتمجّد، سيسكب بدوره علينا وفير ما في حوزته من هبات، لأنّه يقبل إرادتنا الحسنة، ويعلم أنّ خيراته لن تلقى منّا سوء طويّة أو نكران جميل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

حياة ملائكيّة على الأرض بالصوم واليقظة وتلاوة المزامير والصلاة وامتلاك الأفكار الحسنة عن الجميع، يُدخِل الله في أيّ عمل يقوم به إذ إنّ الله هو الغاية المرجوّة، يصلي من دون تشتّت لأنّ الذي يركّز في صلاته يكون محبًّا لله، يبتعد عن الشهوات والمشاكل والمُحزِنات...». إذا أردنا النموّ في محبّة الله ما علينا إلاّ أن نفكر بالله أكثر، أن نصلّي أكثر وأن نختار أموراً تساعدنا على النموّ والوصول إلى الله، مبتعدين عن الأمور التي تبقينا على مسافة بعيدة منه.

إضافةً إلى الكلام على محبّة الله، لا ينسى القديس مكسيموس الكلام بالروحيّة نفسها على محبّة القريب في مئوياته الأربع، فمن غير المعقول أن يتكلّم على محبّة الله من دون الكلام على محبّة القريب المخلوق على صورة الله ومثاله، كما أنّه لا وجود لإنسان يستحقّ أن يكون محبوباً أو لآخر غير مستحقّ، كون المحبة واحدة ومتساوية تجاه الجميع. يقول القديس مكسيموس: «من يحبّ الله لا يستطيع إلاّ أن يحبّ كلّ إنسان مثل نفسه على الرغم من أهواء بعض الذين لم يتنقّوا بعد... فطوبى للرجل الذي يستطيع أن يحب الجميع بالتّساوي... إنّ أصدقاء المسيح يحبّون الجميع بصدق ويحافظون على استمراريّة هذه المحبّة حتى النهاية».

إضافة إلى ذلك، يتكلّم القديس مكسيموس على وجوب محبّة أعدائنا، فإنّ «أقوى اختبار لنقاوة المحبّة هو محبّتنا لأعدائنا... التي نستطيع إظهارها فقط عندما ننقّي أنفسنا من الأهواء». كما يتحدّث قدّيسنا عن الأذى الذي يلحق بنا متى أحببنا أنفسنا إذ نصبح زناةً (بالمعنى الكتابي) أي عابدي أصنام، والصنم هو نفسنا.

إنّ المحبّة بالنسبة إلى القديس مكسيموس لا يضاهيها شيء، فهي مؤلّهة أي تجعلنا على مثال الله – المحبّة، فإنّ «سرّ المحبّة هو أنّها، من كائنات بشريّة، تخلق آلهةً». ألا جعلنا الله أواني تفيض محبَّةً ورِفقاً ووداعةً لكي نُظهر حقيقة مَن خُلِقنا على صورته ومثاله.

نشاط ميلادي

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام نظّم مكتب التربية في الأبرشية يوم السبت ٢٩ كانون الأول ٢٠١٢ نشاطاً ميلادياً لحوالي ألف ومئة شخص من أبناء الرعايا الذين تتراوح أعمارهم بين ٥ و١٦ سنة الملتزمين بالنشاطات الرعائية الأسبوعية التي تُقام في كافة رعايا الأبرشية.

وقد تمَّ تقسيم الأبناء إلى ثلاث مجموعات بحسب فئاتهم العمرية ليشتركوا في الأنشطة الهادفة التي تناسب أعمارهم. وفي نهاية اليوم الميلادي وُزعت الهدايا والتذكارات على الجميع.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb